

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله فاطر السموات والأرض ، وما فيهنّ ، والصلاة والسلام على نبيّ الهدى ، ومن به اقتدى ، وبعد :

فقد مضت سنون طويلة ، وأنا أقرأ للصفدى ، وأقرأ عنه ، وأتاحت لى أسفارى الكثيرة الاطلاع على العديد من كتبه المخطوطة فى الرباط ، وتونس ، ودمشق ، وحلب ، وإستانبول ، وبرلين ، ومدريد ، فضلا عن القاهرة ؛ فصوّرت منها أغلبها ، وحقّقت بعضها ، وامتلكت كلّ كتبه المطبوعة ، ولا أخفى حيبى له ، وإعجابى به .

ألا يستحقُّ الإعجاب أمير من أمراء المماليك لم يُلهِه المال والترف عن طلب العلم ، والاشتغال به ، ولم يصرفه الغنى والجاه عن الكتابة ، والتأليف ؟

ألا يستحقُّ الحب من تلمذ لابن تيمية ، وابن سيّد الناس ، وأبى حيان ، والذهبي ، والبرزالي ، وابن جماعة ، والتقى السبكي وغيرهم كثير من أعلام التفسير ، والحديث ، والتاريخ ، والأدب ؟ ومنهم من تلمذ له ، وقرأ عليه ، ومنهم من أجازته ، واستجازته ، وهؤلاء العلماء هم من هم مكانة ، وقَدْرًا ، وعِلْمًا ، وأدبًا ؟ .

ألا يستحقُّ التقدير من ترك أثرًا باقيا فى الكثير من من جاء بعده من الأدباء ، والمؤرخين إلى يومنا هذا ؟

وبين أيدينا الدراسات الحديثة التى تبين أثره فى معاصريه ومن بعده ، منهم : ابن شاكر الكتبي الذى أكثر النقل عنه فى مؤلفاته .

وسار على نهجه - وإن غمز فيه - ابن حجّة الحموى .

وكانت كتبه عمدة المقرئى ، وابن حجر ، والسخاوى ، وابن تغرى بردى ، وابن إياس ، وغيرهم ، بل إننا نجد السيوطى يتبع كتبه اختصارا ، وتتميما ، ونقلًا فى أكثر من كتاب من كتبه .

كان الصفدى على علاقة وثيقة بملوك عصره ، وأمرائه ، يصحبهم ، ويترسل عنهم ، وكانت علاقته أوثق بعلماء زمنه ، وأدبائه ، ومثقفيه ، يقرأ عليهم ،

ويراسلهم ، ويستجيزهم ، ويباحثهم في مجالسهم ، ويسامرهم في أنديةهم ، وينسخ كتبهم ، ويترجمهم .

كما كان للأتقياء والصالحين نصيب في حياته يُوَدُّهم ، ويبيِّرهم ، ويلبس خرقتهم .

ودَوَّنَ كل ذلك في كتبه ؛ فمؤلفاته - بحق - سجلّ حافل أمينٌ يصوِّر أكثر من نصف القرن الثامن الهجري أصدق تصوير في حياته السياسيّة والاجتماعية ، وتياراته الفكرية والثقافية يصوره في جدّه وهزله ، في ثرائه وفقره ، في أمجاده ونكباته ، في وقائعه وأحداثه ، في خيره وشرّه .

وقد لفت نظري في سيرته أمور ، منها :

يستقى الدارسون معلوماتهم عن الصفدى من كتب التراجم وكتب التاريخ ، وفي أكثرها معلومات خاطئة ، عن سيرته ، وعلاقاته ، وأدبه ، ومرّد ذلك - في بعض الأحيان - إلى ما يكون بين النابغين والعلماء من منافسة ؛ ويمكن تصحيح هذه الأخطاء من خلال مؤلفاته المتوقّرة لدينا .

في المكتبة العربية - اليوم - دراسات جادّة عن العديد من العلماء المعاصرين له ، كالذهبي ، وابن نباتة ، وابن حجّة ، وغيرهم ، ولا نكاد نجد فيها دراسة مماثلة تُظهِر مكانة الصفدى ، وما له من آثار في النقد والعلم والأدب .
لهذه الأسباب كان اختياري لموضوع هذه الدراسة

« الصفدى وآثاره في الأدب والنقد »

وتشتمل الدراسة على بايين ، وخاتمة :

الباب الأول : عن الصفدى وعصره ، وجعلته أربعة فصول .

الفصل الأول : الحياة السياسية في عصره ، وما فيها من أحداث ووقائع ، وما تخللها من اضطرابات وفتن ، وصدى الأحداث في شعر الصفدى .

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية ، وما فيها من مظاهر الإسراف وما أصابها من نكبات ، وطبقات المجتمع ، واقتصاده .

الفصل الثالث : الحياة الثقافية ، وما فيها من مدارس ، ونهضة علمية وأدبية ، وتشجيع الحكام المثقفين على البذل والعطاء .

الفصل الرابع : الصفدى أصله ، مولده ، نشأته ، دراسته ، شيوخه ، تلاميذه ، عقيدته .

الفصل الخامس : آثار الصفدى العلمية والأدبية ، وهو فى أربعة مباحث .
المبحث الأول : الكتب التى نسبت إلى الصفدى ، وإلى غيره ، ولا يمكن القطع بصحة نسبتها له ، أو نفيها عنه .

المبحث الثانى : الكتب التى تعرف أسماءها ، ولا تعرف لها وجودًا فى مكتبة عامة ، أو خاصة .

المبحث الثالث : كُتِب الصفدى التى بين أيدينا ، وبيان أماكن وجودها ، وموضوعاتها ، والمخطوط منها ، والمطبوع .

الباب الثانى : مكانة الصفدى العلمية ، وأثره فىمن بعده ، وهو فى خمسة فصول .

الفصل الأول : الصفدى المؤرخ والأديب ، منهجه ، ومستويات أسلوبه النثرى .
الفصل الثانى : الصفدى الشاعر ، أغراضه ، خصائص شعره ، قصة خبز الشعير ، مكانته بين شعراء عصره .

الفصل الثالث : الصفدى الناقد ، وأهم القضايا النقدية التى عالجها والتقليد والتجديد فى آرائه .

الفصل الرابع : الصفدى اللغوى ، وما له فيها من مؤلفات .

الفصل الخامس : الصفدى النحوى ، وجهوده فيه .

وليس الهدف من هذا العرض تقديم دراسة شاملة عن الصفدى فى جوانبه المتعدده ، فهذا محال ، وكلّ جانب من هذه الجوانب حقيق أن يكون موضوع دراسة أكاديمية مستقلة ، وإنما الهدف بيان جهوده ، ومساعدة الباحثين على دراسته .

الخاتمة : وفيها عرض للبحث ، وتلخيص لنتائجه ، يتلوها بعض الفهارس الفنية التى لا بد منها .

ولا يفوتنى فى هذه المقدمة الاعتراف بالفضل لذوى الفضل والعلم الذين قدّموا لى كلّ مساعدة ، وعون ، ولم يخلوا بنصح ، وإرشاد ، ومنهم أسانذتى ، وزملائى ،

وأصدقائي وأخص بمزيد الشكر والعرفان دار الآفاق العربية لحرصها على نشر هذا البحث إيماناً منها بجديته ، وكونه حقيقاً بالنشر كي يكون الباحث والقارئ العربي على ذُكرٍ من سيرة هذا العالم الفذّ - صلاح الدين الصفدي - وآثاره في الأدب والنقد على حدّ سواء وكل ما أرجوه أن يكون عملي « علماً ينتفع به » ، والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف